# إشكاليات الواقع واستشراف آفاق المستقبل
## ديوان " نَوْرس لا يرىٰ إلا الجميلَ "
## لجابر بسيونى أنموذجًا

د/ محمد السيد عبدالعاطي دحريجة
قسم الدراما والنقد المسرحي – كلية الآداب – جامعة عين شمس

### مقدمة

الحمد لله حمدًا يليق بعظيم قدره وسعة لطفه ، وأصلى وأسلم على أعبد خلق الله ، وأعظمهم قدرًا وأعلاهم شئنًا ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد ....

فالأدب بحر عميق زاخر بالجواهر والكنوز ، كلما انتهلت منه ازدّت شغفا به ، وتعلقا بفنونه ، ومن أكثر هذه الفنون تداولاً وتناولاً الشعر ؛ لما يحظى به من مكانه مرموقة ، رغم اختلاف العصور وتباين الدهور ، ولما له من قدرة على إضاءة الزوايا المعتمة فى النفس البشرية وسبر اغوارها .

لذلك آثرت دراسة ديوان واحدًا من الشعراء ؛ الذى ينسجم إنتاجه مع الذوق العام المعاصر . فالشاعر جابر بسيونى من أبرز الأصوات الشعرية المعاصرة ، ومن القلة القليلة الذين طبع شعرهم بطابع خاص ، ونسيج منفرد ، فتجربته الشعرية ذات أبعاد إنسانيه جادة تحقق وجودًا واعيًا .

هذا وقد قسمت البحث إلى تمهيد أشرت فيه إلى ما يميز الإنسان ويعلى قدره ، مع نبذة مختصرة على الشاعر ، ثم مبحثين ، وأتبعت ذلك بالفهارس والمراجع .

المبحث الأول : الإنسانية – أهم مظاهرها – مفهوم النزعة الإنسانية .

المبحث الثانى : رفض الوهن والانكسار والدعوة إلى الحلم والأمل .

**تمهيد**

إن العقل والعاطفة من مركبات شخصية الإنسان التى لا يمكن تصورها بدونهما ، وإذا كان العقل قوة طبيعية للنفس متهيئة للإصابة فى الحكم ، فالعاطفة استعداد نفسى بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة ، والقيام بسلوك معين إزاء شئ أو شخص أو جماعة أو فكرة معينة .

والإنسان ليس عقلاً فقط وليس عاطفة فقط ، وإنما هو عاطفة وعقل . والعاطفة بحاجة إلى عقل يرشدها وكذلك العقل فهو بحاجة إلى عاطفة لكى يجعل من الأفعال التى يأمر بها أفعالا مرغوبة ومحبوبة .

وعلى العموم فإن العقل والعاطفة توأمان لا يمكن الفصل بينهما فى تصرف الإنسان وسلوكه وفى تفكيره وتقديره للأمور ، غير أنه يجب الإقرار باختلاف ميزان كل منهما قوة وضعفا حسب الموقف الذى يكون فيه الإنسان .

وبقراءتى لديوان " نورس لا يرى إلا الجميل " للشاعر "جابر أحمد محمود بسيونى " المولود يوم الأثنين 26 ديسمبر 1960 م بحى كرموز أحد الأحياء الشعبية بمدينة الإسكندرية ، وبالتحديد فى شارع باب الملوك بالقرب من عامود السوارى والمقابر اليونانية بحى كرموز الشقافة ، وفيه تعرف إلى مغنى الربابة الذى كان يجوب حوارى كرموز وشوارعها ينشد السير الذاتية والبطولية لعنترة بن شداد ، والزناتي خليفة ، والسير النبوية المعطرة [1] . بدأ تعلقه بالأدب العربى ، وتفتحت ملكاته الأدبية ، إلى أن صار من أبرز الشعراء الذين حفروا أسماءهم فى تاريخ الإسكندرية الأدبى ؛ نتيجة لتميز واضح فيما يكتبه، وجمعه بين الأصالة والمعاصرة فى أشعاره . فهو عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر ، ورئيس لجنة الفروع بها ، وعضو المجلس الأعلى للثقافة ، ورئيس نادى الأدب المركزى بالإسكندرية ، وعضو مجلس إدارة هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وله نشاطه الأدبى فى مركز شباب بحرى بالأنفوش ، وقصر ثقافة الأنفوش .

[1] التحديات المعاصرة فى شعر الإقليم " أبحاث المؤتمر الأدبى الحادى عشر لإقليم غرب ووسط الدلتا الثقافى 2010 م " – الهيئة العامة لقصور الثقافة ص 259 .

واللافت للنظر ، أن الشعر الإنسانى عند جابر بسيونى ليس مجرد خطرات فكر اهتدى إليها الشاعر بتأملاته وتجاربه ، بل وعاء انصهرت فيه ثقافته الواسعة من دين وفلسفة ومنطق ، وحقائق العلوم الأخرى . هذه الثقافة التى استوعبها الشاعر ، فكانت خير رصيد انتهل منه إنتاجه الشعرى .

النزعة الإنسانية من المصطلحات الحديثة التى تمخضت عن أحداث القرن العشرين إلا أننا نجد للنزعة الإنسانية جذورًا عميقة فى التاريخ ، فلم تكن الدعوة إلى المثل والقيم الإنسانية من الدعوات الجديدة التى دلفت إلى الشعر العربى الحديث ، ولكنها قديمة قدم الشعر ذاته ؛ لأن العربى بطبيعته يتصف بسماحة الفطرة وكرم الخلق ونقاوة الضمير ، ولكنها لم تصبح طابعًا مميزًا وظاهرة عامة يصطبغ بها معظم نتاج الشعراء إلا فى العصر الحديث بعد أن أصبحت حاجة الإنسانية إليها فى هذا العصر ملحة أكثر من أى وقت مضى .

من أجل ذلك انبرى معظم الشعراء المعاصرين إلى إشاعة روح التآلف والتعاون بين أبناء الوطن الواحد ، كما سعوا إلى ترسيخ القيم والمبادئ التى تصب فى خدمة المجتمع ، وبث العزيمة فى النفوس للارتقاء بالوطن خاصة وبالإنسانية عامة .

والشاعر جابر بسيونى واحدًا من هؤلاء الشعراء الذين نزعوا فى شعرهم هذه النزعة الإنسانية الصادقة فجاء شعره حديث قلب إلى قلب وهمس روح إلى روح فهو نابع من تجارب ذاتية صادقة ومعاناة إنسانية عامة تجسم مشكلات البشر بمختلف البيئات وفى شتى البقاع ، فوجدناه يتعرض فى قصائده إلى رفض الوهن والانكسار والدعوة إلى الحُلم والأمل والحب والخير والسلام والتآخر .

## المبحث الأول

## الإنسانية – أهم مظاهرها – مفهوم النزعة الإنسانية

**تعريف الإنسانية :**

ليس من السهل التوصل أو الركون إلى تعريف واحد للإنسانية أو مفهوم دقيق ثابت يجمع صفاتها كلها ، ويحيط بمضمونها الواسع ، وجوانبها العديدة ، فالبحث فى الإنسانية شائك محفوف بالصعوبات بقدر ما هو شائق وطريف لأن هذه الكلمة مشتقة فى الأصل من الإنسان ومفهوم ذلك المجهول – كما يقول الكسيس كارل – واسع شامل يصعب تحديده فحين نتكلم عن الإنسانية فإنما نتكلم عن كل ما يمت بصلة إلى الإنسان [1] .

وهذا يتوافق مع قول العقاد : " اسم الإنسان وحده باللغة العربية يغنى عن مذهب ؛ لأنه اسم يعتبر هذا الكائن الوحيد أساسًا للألفة الاجتماعية حين تنسب لغيره ، فالمكان الأنيس هو الذى يسكنه الناس ، والحيوان الأنيس هو الذى يألفه الإنسان فى مسكنه ، أما غير ذلك من الأمكنة والخلائق فهو المكان الموحش ، وسكانه هم الوحوش " [2] .

ونجد الشاعر " جبران خليل جبران " يحدد رؤيته ومفهومه للإنسانية فيقول : " الأرض كلها وطنى ، والعائلة البشرية عائلتى " ، ويقول أيضًا " أحب مسقط رأسى ببعض محبتى لبلادى ، وأحب بلادى بقسم من محبتى لأرض وطنى ، وأحب الأرض بكليتى لأنها مرتع الإنسانية وروح الألوهية على الأرض " [3] .

ويقول د/ شوقى ضيف تتردد على الأفواه وفى كتابات النقاد كلمة الإنسانية غير محدودة الدلالة ، ولا محصورة الفكرة ، فقد تدل على كل ما يقترن فى أذهاننا من السمو بالحياة البشرية ، وأن نجتاز كل العقبات التى تقف فى طريقها بحيث تعم فى العالم وحدة إنسانية لا تعيقها حواجز من وطن أو جنس ، ولا تحدها عصبيات من دين وغير دين . وبذلك تصبح الإنسانية نزعة عالمية ، يريد أصحابها أن تعم العالم كله روابط واحدة ، فلا أبيض ولا أسود ، ولا شرقىّ ولا غربىّ ، ولا مسلم ولا مسيحى ، فالعالم يهدف إلى الاتحاد . كان أسرة ، ثم

---

[1] مقال " جوانب إنسانية فى شعر المجهر الجنوبى " عزيزة مريدن مجلة الأقلام العراق العدد 11 نوفمبر 1965 م ص 167 .

[2] الأعمال الكاملة للعقاد – دار الكتاب اللبنانى بيروت – ج 7 ط 1 سنة 1977 ص 5 .

[3] أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب – د/ نظمى عبد البديع دار الفكر ص 521 .

كان قبيلة ، ثم أصبح أمة ، ولابد أن تتلاصق وحداته ، فتذوب كل عنصرية ، وتذوب كل عصبية ، ويصبح الناس إخوة فى نطاق واسع من الإنسانية ، لا تحده غير السماء والأرض[1] .

**من أهم مظاهر الإنسانية :**

الإنسانية : مطلقة تدعو إلى الإخاء والعدل والمساواة والتعاون ، إذ لا تعرف حدًا ولا فاصلاً وفى رأى " أحمد أمين " أن العالم اليوم أصبح فى حاجه إلى نبى جديد هو الإنسانية"[2]

الإنسانية : جامعة الجامعات " هى أقرب الجوامع إلى قلب الإنسان ، وأعلقها بفؤاده ، وألصقها بنفسه ؛ لأنه يبكى لمصاب من لا يعرف وإن كان ذلك المصاب تاريخًا من التواريخ أو خيالاً من الخيالات " [3] .

فالإنسانية ملاك كل شئ فإذا ذهبت ذهب بذهابها كل شئ .

الإنسانية : قوة روحية عظمى تخاطب عقل الإنسان وضميره وجوهره ، وتحاول إبعاده قدر المستطاع عن تلك المادية الضاغطة التى لا تزال ممسكة بعنقه ومضيقة عليه الأنفاس [4] .

الإنسانية : ليست إحسانًا ولا تبرعا برغيف إنما الإنسانية إقرار بالحق ، واحترام لكل حق ونظام يحسن توزيع الحق ، ولا يساوم ولا يتاجر بحق [5] .

**مفهوم النزعة الإنسانية :-**

لقد كثر الحديث حول مفهوم النزعة الإنسانية فى الأدب ، وتعدد تحت عناوين منها الاتجاه الإنسانى فى الأدب ، والإنسانية فى الأدب ، والأدب الإنساني ، فالنزعة الإنسانية فى الأدب

---

[1] دراسات فى الشعر العربى المعاصر – د/ شوقى ضيف دار المعارف ط 7 ص 58

[2] القيم الروحية فى الشعر العربى قديمه وحديثه – د/ ثريا عبد الفتاح ملحس – دار الكتاب اللبنانى – مكتبة المدرسة للطباعة والنشر ببيروت ص 303 .

[3] النظرات للمنفلوطى قدم لها بدراسة د/ طه وادى – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط1 / 1991 م ص 203 .

[4] الإتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر – د/ مفيد قميحة ص 11 .

[5] ينظر مقال " إنسانية شوهاء " جورج حنا – مجلة الآداب – عدد 2 فبراير 1953 ص 33 .

ليس مذهبًا من المذاهب الأدبية كالكلاسيكية أو الرومانتيكية أو الواقعية أو غيرها ، ولكنه اتجاه فكرى عام يجعل الأديب معنى بهموم البشرية كافة ، حاملا أعباءها ، معبرًا عنها فى أدبه ، مستهدفًا إنقاذ الإنسانية من قبضة الشر والفساد ، وإيصالها إلى شاطئ الخير والسلام ، وهو يفعل ذلك إحساسًا منه بالمسؤلية الملقاة على عاتقه لكونه فردًا من أفراد هذا الجنس البشرى [1] .

والفنون على الرغم من طابعها الفردى لا تكتفى بتمثيل المجتمع القريب أو الأمة ، بل هى كثيرًا ما تطمح من وراء المجتمع والأمة إلى التجاوب والإنسانية كلها ، فهى لا يقنعها أن تكون رابطة قومية وحسب ، بل كثيرًا ما تسمو إلى أن تقرب بين الإنسان والإنسان مهما تباعد فى الزمان أو المكان أو فى الجنس [2] ، والأمثلة كثيرة على هذا الطابع الإنسانى الذى يطبع الأدب والفنون كلها أحيانًا فوق طابعها القومى والإجتماعى : فما أكثر الكتاب والشعراء الذين انتزعوا إعجاب العالم وتقديره فلم يعودوا ملك أمتهم وحدها ، بل غدوا مفخرة الإنسانية جمعاء .

وقد أصبح أمل الإنسانية فى نشر رسالة الحب والسلام بين أجناسها العديدة معقودًا على الأباء بعد أن أعلنت المذاهب السياسية على ألسنة قادتها إفلاسها وفشلها فى تحقيق هذه الرسالة النبيلة بين الشعوب .

يقول الأستاذ ( خليل هنداوى ) : " والأدباء مسؤولون إلى حد بعيد عن الأزمات النفسية فى الشعوب ، وهم لا يقدرون عبثهم – يوم يعبثون – بالقلوب والعواطف فى حين أن أولئك العلماء فى مخابرهم يكشفون عن أقصى ما خزنته الطبيعة من أسرارها ، إن هؤلاء الأدباء من دون العلماء مسؤولون عن مستقبل الإنسانية ، لأن هذه القيم الروحية والاجتماعية بأيديهم ؛ إذ ليس من هم العالم أن يوجه ، بل همه أن يكتشف المادة ولو أحرق نفسه بها ، فى حين أن الأديب هو الحارس الأمين على هذه القيم الموروثة مع الأجيال "[3] .

---

[1] الاتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر 1914 – 1965 ، د/ رجاسمرين دار اليراع للنشر والتوزيع – ط1 2003م ص50 .

[2] محاضرة أمجد طرابلس " المحاضرات العامة لعام 1952 م – منشورات دار الكتب الوطنية بحلب ص 176 .

[3] ينظر مقال " هل ينقذ الأدب الإنسانية " خليل هنداوى – مجلة الأديب نوفمبر 1945 م ص3 .

ويقول الأستاذ ( توفيق الحكيم ) متحدثًا عن الأدب الإنسانى " إن الأدب الكبير هو ذلك الأدب الذى يصلح لعصره ولكل العصور ، وينفع الناس ويعرض لشئونهم ، ويوجه حياتهم فى جيلهم ، ثم يمضى بعد ذلك ينفع الناس فى الأجيال كلها . هو ذلك الذى ينظر بإحدى عينيه إلى الوطن الصغير ، ممثلا فى بيئته وزمنه وبعينه الأخرى إلى الوطن الأكبر ممثلاً فى الإنسانية إلى نهاية الدهر " [1] .

ويقول الدكتور ( حسن جاد ) : " الأدب الإنسانى هو الأدب الجدير باسم الفن والأدب ، إنه الأدب الرحب الذى يسمو على الفوارق والحدود ، ويستغرق الحياة والوجود ، ويدعو إلى الحب المطلق للكون كله ، ويبشر بالمثل العالية ، ويحارب المظالم والشرور ، وينقم على الفوارق والمفارقات ويحمل آلام الإنسانية ، ويستهدف السعادة للبشرية ، ويخلق المجتمع المثالى ، ويشيع المحبة والسلام " [2] .

ويعرف الدكتور ( عبد الحى دياب ) : " النزعة الإنسانية فى شعر ( العقاد ) بأنها : " صدق التعبير عن الإنسان فى مختلف حالاته ، من سرور وغضب ، وهدوء وصخب ، وصحة ومرض ، وغير ذلك من النزعات والرغبات التى تصطرع فى كيانه فيعبر عنها أصدق تعبير وأتمه " [3] .

ويقول الدكتور ( عدنان سكيك ) : " الأدب الإنساني ، هو كل أدب يهتم بمشاكل الفرد والجماعة على السواء ، دون تمييز بين غنى وفقير وقوى وضعيف ، وفاجر وتقى ، فكل له مشاكله وتجاربه وانفعالاته ، وكل يغنى الأدب بألوان من التجربة التى لاغنى للبشرية عنه " [4] .

يرى الدكتور ( شوقى ضيف ) أن النزعة الإنسانية فى الأدب أشبه بحلم صوفى جميل ترتفع أثناءه كلمة النزعة الإنسانية ، وتهيم فى أجواء سحرية غامضة ، وقد تسقط من هذه الأجواء وتقترب من أرضنا ، بل قل تنزل فيها لتدل دلالات أخرى يفهمها الإنسان الواقعى كالرحمة بالضعيف ومواساة العاجز الفقير حيث يريد أصحابها أن يرتقوا بحياتنا البشرية ، فيعم بين

[1] فن الأديب توفيق الحكيم دار مصر للطباعة ص 307
[2] الأدب العربى فى المهجر – د/ حسن جاد – القاهرة ط 1 1963 م ص 334 .
[3] النزعة الإنسانية فى شعر العقاد – د/ عبد الحى دياب – دار النهضة العربية – القاهرة ص 1 .
[4] النزعة الإنسانية عند جبران – د/ عدنان سكيك – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 م – ص 90 .

الناس فيها دفع الضرر عن إخوانهم والتعاطف معهم تعاطف الأخ مع أخيه ، فلا يكون هناك بائس ولا بؤس ولا حاقد ولا حقد ، وإنما يكون التآزر والتعاون بين الناس حتى كأنهم جسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ومنها أيضًا محبة الإنسان لوطنه ؛ إذ تقوم هذه المحبة فى بعض جوانبها على الإعتزاز بالوطن والمواطن ، وأن تكون له الحقوق الإنسانية المشروعة من حرية وغيرها [1] .

وهكذا تغير مفهوم الأدب عما كان معروفًا من قبل فلم يعد مجرد تعليقات وتفسيرات وملح ونوادر وحكايات وأخبار للمشاهير من الرجال والأحداث ، بل صار يهتم بحقائق الإنسان والكون والحياة . فلا يصون الإنسانية إلا أدب إنسانى شامل تهمه سلامة الأرض كلها منزلاً له ، أدب يستمد قوته من هذه القيم الروحية الصافية المجردة من الأنانية والعنفوان ، ليستطيع أن يضمد الجراح المفتوحة ، ويجفف الدموع المسفوحة ، فإذا أرادت الإنسانية سلامتها فلتكن فى ألفة دائمة ، صادقة ، متواصلة ، سامية الخيال ؛ لأن هذه الألفة التى يسخر منها علماء السياسة والتاريخ ؛ لاعتقادهم أنها خيال مسرف ستكون هى الحقيقة وما عداها هو خيال ، كما أنه ليس فى العالم أجدر من الشرق العربى بقعة تشرق منها شمس الأدب الإنسانى لتبدد بأشعتها سدف الظلمات المتراكمة التى تطبق على صدر كوكبنا الأرضى وتوشك ان تخنق فيه بقية الأنفاس [2] . فالمركز الجغرافى لبلاد العرب يؤهلهم لخدمة الإنسانية جمعاء ، إذ أنها تقع فى القلب من هذا العالم ، واستعادة العرب مكانتهم التاريخية إنما يعنى بالدرجة الأولى تغلب المبادئ الروحية السامية على هذه المادية الطاغية التى تسود عالم اليوم ، والشرق العربى الذى أهدى إلى الإنسانية سابقا الكثير من تعاليمها الروحية جدير بأن يواصل رسالته السمحاء هذه فيمد أبناء الأرض من جديد بتعاليمه التى تدعو إلى محبة الإنسانية والحياة ، ليتخلص العالم من ذلك الصراع المرير الذى لا يزال مستعرًا بين قوى النور والظلام [3] .

---

[1] دراسات فى الشعر العربى المعاصر – د/ شوقى ضيف ص 58 – 59 .

[2] مقال " هل ينقذ الأدب الإنسانية " خليل هنداوى – مجلة الأدب نوفمبر 1945 م – لما ينظر الإتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر – د/ رجاسمرين ص 50 – 51 .

[3] الإتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر – د/ رجاسمرين ص 51 .

**المبحث الثانى**

**- رفض الوهن والانكسار**

**- الحلم والأمل**

**رفض الوهن والإنكسار :**

للمثقف دور كبير فى المجتمع ؛ فهو يواجه بشجاعة جميع المشكلات التى تواجه عامة الناس ، بل إننا نستطيع القول بأن واجب المثقف تجاه وطنه أن يكون واقعيًا ، يعايش آلام

الناس لكنه – فى الوقت نفسه – يفترق عنهم ، كى يشخص تلك الآلام التى يعانون منها ، ويُعْمِل المبضع فى الجراحات التى يكتوون منها .

المثقف الحقيقي هو ابن الواقع ، ليس كائنا انعزاليا يلوذ بمدينته الفاضلة المتوهمة ، وظيفة المثقف هى أن يواجه بشجاعة وثبات جميع العوائق التى من المحتمل أن تنهض على طول الطريق ، من دون أن تثنية عن تحقيق غايته الأسمى ، وهى تثقيف المجتمع ، أو ما يُطلق عليه البعض مسمى " صياغة الوعى العام " ، فكل مثقف له أدواته الخاصة به فى نفع أبناء وطنه ، فالطبيب مثلاً ينشر الوعى بين الناس بمبدأ الوقاية خير من العلاج ، حفاظًا على أبناء وطنه ، كما أنه يبذل أقصى جهده بالعلاج والتوعية المستدامة ، لئلا تتمكن الأمراض والأوبئة من جسد المجتمع ، بخلاف الأديب ؛ فإنه ينشر الوعى ويعالج المشكلات بسحر كلماته وقوة تأثيرها فى نفس المتلقى .

وهكذا وقف جابر بسيونى رافضًا الإنهزام والإنكسار ، معلنًا العصيان فى خطابه الشعرى:

الكلُّ حولى تائهٌ
لكنَّنى واعٍ بأشيائى الغريقة
همْ فى متاهات الحياةِ الدائرةْ
صْرعى  بلا خطى وأسْماءٌ بلا هَدَفْ
همْ فى مهبِ الريْح أجْسَادٌ خَزَفْ
وغنْوتى تخْرجُ من ساقيَةِ الأوْهامِ تكْشفُ الحقيقةْ ،
تردُّ للنور بِريقهْ ، وتعْلقُ العصْيانَ فى صمْتٍ عَصَفْ
لهم قبورُ الخوْفِ موْئلُ علا
لى صرْخةُ الحقِ بدرْبى موعدٌ
والمسْتحيلُ مِنْ عنادى يرْتجِفْ
وْلتكُنِ المواجهةْ [1]

[1] ديوان نورس لا يرى إلا الجميل – قصيدة " وْلتكُن المواجهةُ " – شعر جابر بسيونى – الإسكندرية حسناء للنشر – ط 2 ص 58 .

أدرك الشاعر هنا مصير الاستسلام فى مطلع القصيدة بقولة " الكل حولى تائه " ، وكأنه يود القول بأن هذه الحالة لا تصيب إلا من سلم أمره لغيره ، ثم يرفض الموت ويعلن العصيان ، ويدون فى كل رفض شهادة ميلاد جديدة تبعث على الحياة والأمل بقوله " لكننى واعٍ بأشيائى الغريقة " ، وكأنه يخبر من يستمع إليه بأن الإنسان الناجح لابد ان يدرك ما يدور حوله ، ويعرف مواطن ضعفه لينهض بها ومواطن قوته لينميها ، فالشاعر لا يرضى لنفسه ولا لغيره بواقع يستبد بحريته ؛ ليقف مكتوف الأيدى مسلوب الإرادة ، فنجده يستحضر كل ما لديه من عناصر " الفتوة / الصرخة / المواجهة " ، ثم تتأجج ذروة الرفض وتتصاعد فى الجمل الخبرية : " الكل حولى تائه " – " هم فى متاهات الحياة الدائرة صرعى " – " هم فى مهب الريح أجساد خزف " .

ثم يتحول الخطاب الشعرى – فى نفس القصيدة – من الأسلوب الخبرى إلى الأسلوب الإنشائى :

إلى متى ندسُّ فى التراب رأْسَنا ؟!
ولا نرى فوق المرايا ضعْفَنا
إلى متى يهْجُر عُصْفورُ النهارِ غُصْنَنا
ويؤلمُ الموجُ الجرئُ شطَّنا
إلى متى نْنتظر القادمَ كى يبنى لنا
أنا النذيرُ فى سيادتكم على كفىّ أحْملُ اللظى
وأشْعلُ النِيران فى أحلامِكم
قوموا فرادى أو جموعا وانفْضوا عن عينكم
نَوْمَ الضِعافِ والونى
يا أمةَ لم تدْرِ معنى الإنفجار فى ضلام المُنْحنى
أنا هنا ... أنا هنا
ولتكن المواجهةْ [1]

[1] المرجع السابق – ص 59 .

اعتمد الشاعر – هنا – على الأسلوب الإنشائى ، فأتت أدوات الإستفهام باعثةً فى النفوس الدهشة والتعجب ، لما يحدث من تخاذل وتراجع العربى أمام أعدائه ومكائدهم ، رغم معرفته بمصدر الخطر ، وإدراكه التام لقدر خصومه ، ولكن هيهات فإنها الفرقة والشتات العربى ، الذى لا يتفق على كلمة واحدة ، ولا يثبت فى صف واحد ، ويسمح لأعدائه بإختراق قلاعه وحصونه ، والكيد لأخية عن طيب خاطر ، بل الأخطر والأمر من ذلك أنه يستعين بأعداء العروبة كقوة مناصرة ومحالفة له على الفتك بأخية العربى الشقيق ، وكأنه يقدم أرضه وعرضه هدية طيبةً لينةً لعدوه وهو فى غياهب الظلمات .

فقول الشاعر : " إلى متى ندس فى التراب رأسنا " .

وقوله : " إلى متى يهجر عصفور النهار غصننا .

وقوله : " إلى متى ننتظر القادم كى يبنى لنا " .

اسفتهام تقريرى يبعث فى النفس الألم والحسرة ، ويصيب القلب بجميع الأدواء والبلاءات ثم ينتقل بسيونى بخطابه الشعرى ، بعد هذا التقرير الذى يوقظ الغافل من سباته العميق ، إلى تحفيز قارئيه إلى إدراك معالى الأمور ، ودعواتهم إلى الثورة على كل ما ينقص من قدرهم ويقلل من شانهم بقوله : " أنا النذير فى سباتكم على كفى أحمل اللظى وأشعل النيران فى أحلامكم " ، وبتكرار فعل الأمر " قوموا – انفضوا " فى قوله " قوموا فرادى أو جموعا وانفضوا عن عينكم نوم الضعاف والونى ".

فالشاعر يعتبر نفسه جزء لا يتجزأ من كل ما يمس وجدان الأمة سواء أكان على الصعيد الوطنى أم العربى أم العالمى بإنسانيته الشمولية . مؤمنًا بأن للكلمة دور فى بناء المجتمعات وأكثر ما يظهر ذلك المواقف العصيبة والأزمات ، وصانع هذه الكلمة أديب ملك عقلاً واعيًا متسلحًا بالوعى والإيمان بالهدف .

وبقى المد الثورى يشتاق له الشاعر مستثمرًا أدوات البيئة العربية الأصيلة " الفارس – الحصان – السيف " ؛ لمحو آثار الوهن والمِحن . " وعندئذٍ نؤمن بأن الشعر الثورى هو الواقع الحاضر والواقع المقبل فى آن ، إنه لتلك القوة التى تُشعل فى عتمة الحاضر ضوء

المستقبل ، وتوقظ الإنسان على مصيره " [1] ، وهذا ما يكشف عنه خطاب جابر بسيونى الشعرى :

هذا الحصان المنتصرْ
جيناتُهُ عربيّةُ
إعتادَ أنْ يجتازَ أمواجَ المحنْ
ويخطّ فى كُتب الزمن
صورَ العزائمِ والفخارْ
هذا الحصانُ اراهُ قد ملَّ البطولةَ فى الزمانِ المنقضيِ
ويئنُّ من صْمتِ الفوارسِ فى خضمِ المعتركْ
مازالَ يرفعُ رأسَهُ متحديًّا
ويثورُ فى وجهِ الوهنْ
يا فارسًا
نشتاقهُ فى عثرةِ الأحداثِ مُمتَلكَ القرارْ
هذا حصانُكَ فامْتطِهْ
واشهِرْ سيوفَك فى وجوه المْعتدينْ
وأعدْ لنا أبْهى انتصارْ

الشاعر – هنا – يؤجج ثورة المجد والعز فى نفس العربى ، ويشد أزره ويقوى عزيمته ، لاستدراك ما فاته من قوة وفخر ، فهو يثور ضد التخاذل والانهزام ، ويسعى إلى النهوض بأمته العربية وتحقيق العزة والكرامة ، عن طريق استحضار الماضى العريق ليستمد منه البطولات والانتصارات ، وبث روح الثورة والحماس فى النفوس واستنهاض الهمم ، فحينما يتحدث عن وطنه العربى الحبيب يظهر لنا مدى تعلقه به ، ومدى حبه وحرصه على المشاركة الفعالة فى أحداثه وقضاياه ، فنجده يصول ويجول فى تاريخ وطنه ؛ ليذكرنا بأمجاده وانتصاراته وجهاد أبنائه ؛ ليوضح لنا أن واقعنا الحالى شئ غريب على عروبتنا

[1] أودنيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت 1978 م – ص 111 .

وأبنائها الذين ضربوا أروع الأمثال فى البطولة والفداء . وهذا ما يتجلى فى خطاب بسيونى الشعري :

وانْزعْ بقبضةِ قادرٍ
من قلْبنا
خوْفَ العَجائز والحصارْ
يا فارسًا
نرجوه فى ظُلَم الطريقْ
هذا حصانْكَ فانطلقْ
واشْعِل بصْرختِكَ النهارْ
وأَضىءْ لواءَ الحقِ والأمجادِ فى قلْب الدروبْ
يا فارسًا
كلُّ العروبةِ تبتغية
قمْ واعتلى ظهْرَ الحصانِ المقتحمْ
واعْبرْ بنا
فوق الوجود المُنْقَسِمْ [1]
نحو المصير المُعْتصمْ .. بالنصْر فى كل الخُطوبْ

عندئذٍ يتضح ، أن العربى الأصيل أعتاد النهوض من كبواته وانكساراته ، وأن هذه المحن لا تزيده إلا صلابة وقوة ، فأخذ يؤجج النيران فى قلوب من تسرب إليهم اليأس والإحباط ، مبشرًا بأن التغير يعيد للوطن حريته وكرامته وأمجاده وملامحه الطيبة ، ومؤكدًا أن لم يعد للظلم والإنكسار مكانًا فى القلوب .

ويظل جابر بسيونى رافضًا الاستسلام والانهزام ، معلنًا راية التمرد والعصيان لواقع يجتاح القيم السامية التى يتمسك بها الشاعر ، من خلال قصيدة تلقى الضوء على كائن ضعيف ،

[1] المرجع السابق – ص 69 .

ولكنه يتمتع بروح المقاومة والمثابرة للوصول إلى هدفه . وكأن الكاتب يقول للمتخاذل أو المستسلم لواقع مرير ، أن التغير يحتاج إلى عزيمة وإصرار وسعى دءوب نحو الهدف .

يتجلى الاغتراب بشعور الكائن بالانفصال عن بيئته ، وافتقاده لذاته أو انفصاله عنها ، أو انفصاله وابتعاده عن المجتمع الذى نشأ فيه ، فالإنسان الذى ينشأ فى مجتمع يتمتع بالخلال الحميدة والصفات الحسنة ، ويشعر بانتمائه لوطنه لا يستطيع العيش فى مجتمع أغتصبت أرضه ، أو انحلت أخلاقه وفسدت طباعه . بل إن أى كائن حى نشأ فى بيئة معينة وانتمى إليها وتفاعل معها ، من الصعب عليه الإستغناء عنها وبداية حياة أخرى فى بيئة جديدة ، وظروف مختلفة عن بيئته الطبيعية . ولهذا بدأ خطابه الشعرى متعجبًا :

أتعجُّبُ من أمْرِ الضُّفْدَعْ
أعْدَدْتُ له حوضًا من ذَهَبٍ
بمياهٍ أحلى
وطعامٍ أمْتَعْ
وجَعلْتُ لهُ
عُمْقًا كي يُبْحِر فيهِ
ومَدَىً أوْسَعْ
وأتَيْتُ بهِ مِنْ برْكة مَّاء عَكِرٍ وتْرابٍ عَفْنٍ
وبلطف قلْتُ : هُنا بيْتُكَ فاهْنَأ وارْتَعْ [1]

الضفدع – هنا – فى الخطاب الشعرى على الرغم من توافر بيئة تكاد هى الأفضل من وجهة نظر الشاعر " حوض ذهبى – مياه أحلى – طعام أمتع " . إلا أنه يبرح هذا المجتمع الذى لم يعتاده ، يمارس عليه الحصار ويفقده حريته .

والمدهش – هنا – تمرد الضفدع على هذه الحياة التى لم يجد فيها الضفدع نفسه ، ولم يتمتع بحريته المسلوبة من واقع ممسوخ مزيف ، فالأحرى بالإنسان أن يرفض الوهن

[1] ديوان " نورس لا يرى إلا الجميل " – " قصيدة الضفدع " – شعر جابر بسيونى – الإسكندرية حسناء للنشر – ط 2 ص90 .

والانكسار ، ويسعى نحو الحلم والأمل ، نحو حياة هادئة هانئة هادفة . وقد عبر الشاعر عن ذلك بأبيات اظهرت عزيمة الضفدع وإصراره .

فإذا الضُفْدَعُ يقْفز .. يقْفز .. يسْعى
حتى عادَ إلى المستنْقَعْ ،
ويَظلُّ يردّدُ فخرًا نقيقٍ :
العَيْشُ هُنا أجْملُ
بكثيرٍ !!
ومكانى – حتْمًا – أوْقَعْ
وحياتى – طبعًا – أرْوَعْ

ويتضح – هنا – فى الخطاب الشعرى السابق ميل جابر بسيونى إلى استخدام الرمز ، فرمز بالضفدع إلى الإنسان المتمسك ببيئته – رغم كل ما أتيح له من مظاهر الترف البراق – إلا أنه يرفض الخضوع والانكسار متمسكًا بحريته وكرامته وواقعه المحيط الذى نشأ فيه ، ويظل يردد فخرًا العيش هنا أجمل ، ويتضح – أيضًا – إجادة الشاعر استثمار الرمز ، للتعبير عما يجيش فى خوالج نفسه ، وهو التمسك بالقيم الموروثة والعادات والتقاليد والتمسك بالبيئة التى نشأ فيها على الرغم من توافر كل المقومات التى تهئ للإنسان التعايش مع البيئة الجديدة بكل ما فيها من إمكانيات براقة ، لكن الشاعر يؤثر تراثه ويتشبث بحريته التى لا تحدها حدود ؛ لأنه يوقن بأنه حين يتقنع بوجه جديد يضطر إلى فقد ما هو أثمن إذا ما قورن بحوض الذهب / الواقع الجديد ، وهذه ثنائية ضدية احتدمت فى داخله حتى اصطفى ماضيه وحاضره ، وتولى عن مستقبله الملبد بالغيوم .

وعندما يفقد الشاعر أدواته فى السيطرة على واقع تنهار أعمدته ، ينخر السوس فى بنيانه ، نجده يبحث فى جعبته عن وسائل جديدة متشبثًا بالحياة ، فلا يجد إلا الحلم والأمل ؛ ليسير فى دروبه متطلعًا إلى واقع أفضل .

**الحلم والأمل :**

فى الحياة قد تخسر حلمًا وقد تفقد حلمًا ، وقد تتنازل عن أمنية ، لكن لا ينبغى أن تفقد الأمل أبدًا فهو الإحساس فى الوجود بالحياة . فالحلم والأمل ينبثق منهما الأشياء الثمينة الباقية التى لا يذوى جمالها .

والشاعر بحكم موقعه مدعو إلى أن يحيل الواقع الحقيقي إلى واقع لُغوى فنى جميل يحمل رسالة إنسانية عامة ، تساعد الإنسان على تجاوز عقبات الحياة بالحلم والأمل . فالشاعر يحاكى الأحداث الواقعية التى تسود فى كل عصر وزمان ، أى أنه يعالج القضايا الاجتماعية، وهنا يبرز دور الشاعر الذى يؤمن أنه محط آمال الجماعة ، فليبدأ ببث روح الجوانب الايجابية فى نفوس المتلقين ، ليتجاوزوا معًا الواقع الأليم إلى النصر المبين .

تظل العملية الإبداعية فى حقيقتها عملية تأسيسية تأخذ منطلقها من الواقع – مهما كان نوعه – باعتباره مرجعية أساسية ومنطلقًا بديهيًا ، كما تستمر فى نسج بنياتها وشبكاتها فى الآفاق التى يستشرفها المبدع باعتباره صاحب ملكة شعرية ، وباعتباره الناطق باسم الوعى الجماهيرى فى المجتمع الذى ينتمى إليه .

ومن هنا انطلق " جابر بسيونى " إلى بث الأمل والحلم فى القلوب والنفوس من خلال قصيدته " مخلوق للغد والحب " [1] . فالشاعر يعلن عن إشراق فجر جديد يدعو للحلم والأمل والحياة ويبدد السنين العجاف من انهزام وانكسار ، وقد ظهر ذلك بوضوح فى قوله :

أُعْلنُ فى وجْهِ المُدْرَكِ

أنّي

مخلوقٌ للغدِ والحُبِ المُطْلقْ

ثم يتسلح " بسيونى " بالعزيمة والإرادة التى يعكسها من خلال قصائده على المجتمع بكل فئاته وطوائفه ، فالإرادة والعزيمة تتكون عندما يزيد الإنسان من التفكير بتحقيق حلمه ، ويصبح لديه طاقة إيجابية تجعله قادرًا على أن يتغلب على المشاكل لتحقيق أحلامه ، والكلمات والعبارات الحماسية لها فوائد كثيرة جدًا ، حيث تجعل الإنسان يتشبث بهدفه ولا يتخلى عنه أبدًا .

[1] ديوان " نورس لا يرى إلا الجميل " – شعر جابر بسيونى – الإسكندرية حسناء للنشر – ط 2 ص 64.

وأسيرْ لكى أحْيى الزرعَ
وموجَ البحرِ
وطلْعَ النخلِ
وخطوَ الإنسانْ
وأنا من رِحمِ الوصْل خرجْتُ رسولاً
للأرحام المقطوعهْ
والأخبار الممنوعهْ
خطْوى ضوءٌ
وهواىَ نداءٌ للأحبابْ
ويدى تفتحُ لخطى الخيْرِ

فالشاعر بذلك يرسل رسالة إنسانية لكل من يحاول النهوض واستلهام الهمم ، من أجل اللحاق بركب الحضارة الإنسانية العامة والشاملة ، وكأنه يدخل فى منطقة اللاوعى التى ترفض كل ما هو واقع ، وتسعى لتشكيل واقع مثالى تتصالح فيه كل المتناقضات ، ويلتقى فيه الإنسان بكل ما يهواه وتميل إليه النفس

ثم ينتقل " بسيونى " بخطابه الشعرى إلى استمداد صور ذهنية من ذات نفسه ، باعتبار أنه جزء مصفى من الطبيعة .

ستزولُ خطانا وسيبْقي
كِلِمٌ يسْنجُ للحقِ طريقًا
ونشيدٌ يصبح للناس
صديقًا
ورسومٌ تكفى الدرْبَ بريقًا
فلتْزرعْ شجرَ الأضواءْ
ونسدُّ الباب على الأهواءْ
نصبحُ أنقى ، نسمو ، نرقى
نصلحُ ما صار على صدر العم خرابا

ونُباهى يوما سيجئ ويذكرنا للقادم والأَغرابْ

بلسان الطيْرِ وعدْلِ الغيرْ ويروينا للأزمان كتابْ [1]

أبرز الخطاب الشعرى السابق أن بث الأمل والحلم فى النفوس هو قمة العطاء ؛ لأن مصير الإنسان إلى زوال وأعماله وإنجازاته هى الباقية الخالدة .

فالشعر الإنساني عند " جابر بسيونى فيض من نفس حساسه " ، اعتملت فيها الأحداث وأثرت فيها التجارب ، فعبرت عن واقع التجربة عليها تعبيرًا إنسانيًا يعكس للناس مدى تأثرها وانفعالها واستجابتها وتعليلها للأحداث تعليلا يقره الناس ويرتضونه ويسلمون له ويرونه صدى لما فى نفوسهم وتصويرا لاستجابتهم ، حتى كأن الشاعر عبر على لسانهم وترجم عما فى خواطرهم .

النزعة الإنسانية مصطلح عام وشامل ، يتضمن كل ما هو أخلاقى وجميل ، كل ما يبعث الأمل فى الحياة ، كل ما يحفز الإنسان لرفض الهزيمة والخضوع والإنكسار ، فى وقت غلب على الحياة الطابع العملي الجاد بلا رحمة أو إنسانية ، كل ما يدعو إلى الحُلم و الأمل .

ثم يستمر " بسيونى " فى استلهاب المشاعر والأحاسيس ، وتقوية العزائم والنفوس والدعوة إلى الحلم والأمل ، وهى إحدى الطرق التى يلجأ إليها الشاعر لإشباع دوافعه ، عندما يرى من تسرب إلى نفسه الوهن والانكسار ، فيلوذ بعالم آخر لا تعوقة عقبات أو صعاب تحد من عزيمته .

بينى وبين قمَّةِ النجاحِ قيْدُ خُطْوةٍ

وكلمَّا

أَعْلو إليها تبتعدْ

لكنَّنى

لم أرْتَعِدْ

أظلُّ أسعى فى ثباتٍ نحوها

وحينما

[1] المرجع السابق – ص 65 .

قاربتُ أن أضمَّها
ضَممْتُ فى جوْفِ الدجى
زلزالَها
فأرْتمى فوق الثرى عينينِ ترنو للعلا
والعزْمُ يوصيني " أعِدْ "
منثورةٌ تحتى الخطى
ألمُّها

الشاعر – هنا – يتخذ من الحلم و الأمل عالمًا مثاليًا يتطلع إليه لبث روح طيبة عطرة فى الإنسانية بمعناها الشامل الواسع . هذه الروح تدفع نحو التقدم إلى الأمام والرقى بالذات ، ليعيش الإنسان فى سلام نفسى مع نفسه ومع بنى جنسه .

وأبْتدى الصعودَ للحلْم العصىْ
وأغْزلُ الأسبابَ ضىْ
وأرْتفِعْ وكلَّما
أوشكْتُ أن أضمَّهُ
ريحٌ تَهِبُّ فى طريقي فأقَعْ
ونظْرتى نحو السماء تشرئبُّ
أقومُ ، أنْقضُ الترابَ عن خطاىْ
وغضْبتى فىَّ نشبُّ
تُطْفِئُ نيرانَ أساىْ
أجْمعُ من بين الرمادِ وثْبتى
وكالنسور أرْتقى
فوق حُطامِ كبْوتى
أعاودُ الصُّعود نحو القِمْهِ
فقمَّةُ النجاحُ مهما أوْصدتْ أبوابَها دونى
فعزْمى واثقٌ

من اقْتناص الفرصةِ ... [1]

الشاعر – هنا – يدعو كل من تملك منه الألم والحزن إلى التفاؤل ببزوغ فجر جديد تتحقق فيه الأمانى والطموح ؛ عن طريق رؤية خاصة ونظرات فى الحياة جسدها فى صورة شعر إنسانى ؛ يسعى من خلاله أن يؤدى أشرف رسالة فى الحياة لأبناء البشر ، ويعمل على إنارة سبلهم بتبديد الظلمات المتراكمة فى طرقهم ، آخذًا بأيدى الناس إلى حيث ينابيع السعادة الثرة ، داعيًا العقول البشرية إلى أن تستضىء بنور الهداية الربانية والعلم الإنسانى ، والأخلاق الفاضلة ، لتصل بذلك كله إلى قمة الترفع والسمو ، فترسو بعد طول السرى على شاطئ السعادة والسلام ، هو شعر تجد نفسك أسير هواه ، فهو يمس شغاف القلوب ؛ لأنه يتناول تجربة الإنسان بكل أعماقها ودلالتها وقوتها .

**المصادر والمراجع**


– ديوان " نورس لا يرى إلا الجميل "

1) التحديات المعاصرة فى شعر الإقليم " أبحاث المؤتمر الأدبى الحادى عشر لإقليم غرب ووسط الدلتا الثقافى 2010 م " – الهيئة العامة لقصور الثقافة .

2) الأعمال الكاملة للعقاد – دار الكتاب اللبنانى بيروت – ج 7 ط 1 سنة 1977.

3) أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب – د/ نظمى عبد البديع دار الفكر .

القيم الروحية فى الشعر العربى قديمه وحديثه – د/ ثريا عبد الفتاح ملحس – دار الكتاب اللبنانى – مكتبة المدرسة للطباعة والنشر ببيروت.

4) النظرات للمنفلوطى قدم لها بدراسة د/ طه وادى – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط1 / 1991 م .

5) الإتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر – د/ مفيد قميحة .


[1] ديوان " نورس لا يرى إلا الجميل " – شعر جابر بسيونى – الإسكندرية حسناء للنشر – ط 2 ص73 .

6) الاتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر 1914 – 1965 ، د/ رجاسمرين دار اليراع للنشر والتوزيع – ط1 2003م .
7) الأدب العربى فى المهجر – د/ حسن جاد – القاهرة ط 1 1963 م .
8) النزعة الإنسانية فى شعر العقاد – د/ عبد الحى دياب – دار النهضة العربية – القاهرة .
9) أودنيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت 1978 م .
10) دراسات فى الشعر العربى المعاصر – د/ شوقى ضيف دار المعارف ط 7 ص 58
11) فن الأديب توفيق الحكيم دار مصر للطباعة .
12) مقال " جوانب إنسانية فى شعر المجهر الجنوبى " عزيزة مريدن مجلة الأقلام العراق العدد 11 نوفمبر 1965 م .
13) مقال " هل ينقذ الأدب الإنسانية " خليل هنداوى – مجلة الأدب نوفمبر 1945 م – لما ينظر الإتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر – د/ رجاسمرين ص 50 – 51 .
14) محاضرة أمجد طرابلس " المحاضرات العامة لعام 1952 م – منشورات دار الكتب الوطنية بحلب.
15) ينظر مقال " إنسانية شوهاء " جورج حنا – مجلة الآداب – عدد 2 فبراير 1953 .
16) ينظر مقال " هل ينقذ الأدب الإنسانية " خليل هنداوى – مجلة الأديب نوفمبر 1945 م .